

مراجعة البلاغة

البيان : هو العلم الذي يبحث في الأساليب المختلفة التي تعبّر عن المعنى الواحد بطرائق متعدّدة , من تشبيه أو استعارة أو كناية أو غيرها . و علم البيان بما يوضّح من الفروق بين الأساليب , ميزان صحيح لتعرف أنواعها و دراسة أدبية للفحص عن كلّ أسلوب , و تبيين سرّ البلاغة , و الجمال فيه .

1 - التشبيه : هو لون من ألوان التصوير الأدبيّ , يبيّن أنّ شيئاً شارك غيره في صفة أو أكثر , و تعقد هذه المشاركة بينهما بأداة هي " الكاف " أو " كأنّ " و غيرها من أفعال مثل : يشبه , يماثل , يضارع , يحاكي , أو أسماء مثل : مثل , شبه .

* **أركان التشبيه** : أربعة و هي : - المشبّه - المشبّه به - أداة التشبيه - وجه الشبه . و يجب في وجه الشبه أن يكون في المشبّه به أقوى و أوضح منه في المشبّه .
* كلّ تشبيه لا بدّ فيه من ذكر المشبّه و المشبّه به , أمّا أداة التشبيه و وجه الشبه فيجوز حذفه أحدهما دون أن يخلّ ذلك بالتشبيه , بل على العكس فإنّ حذف أيّ واحد منهما يعطي صورة التشبيه قوّة أكثر من وجوده .
- أمثلة :

قال الشاعر : كأنّما الماء في صفاء ÷ و قد جرى ذائب اللّجين
و قال امرؤ القيس : فعنّ لنا سربٌ كأنّ نِعاجه ÷ عدّارى دوارٍ في ملاءٍ مُذيلٍ
و قال عنتره : أفمن بكاء حمامة في أيكّة ÷ ذرفت دموعك فوق ظهر المحمل
كالدّرّ أو فضض الجمان تقطّعت ÷ منه عقائدٌ سلكه لم يوصل
و قال الشاعر : أنت نجم في رفعةٍ و ضياءٍ ÷ تجتليك العيون شرقاً و غرباً
* **التشبيه البليغ** : هو ما ذكر في المشبّه و المشبّه به فقط , و حذفت منه أداة التشبيه و وجه الشبه . و هو أقوى و أجمل أنواع و صور التشبيه , و فيه يظهر المشبّه و المشبّه به و كأنّهما شيء واحد لا شيئان متماثلان , و ذلك غاية ما يقصد إليه المتكلّم من التصوير و استعماله التشبيه . مثل :

- قال النابغة : فإنّك شمس و الملوك كواكب ÷ إذا طلعت لم يبد منهنّ كوكب
* **التشبيه التمثيلي (صورة بصورة)** : التشبيه من حيث وجه الشبه ينقسم إلى قسمين ؛ تشبيه غير تمثيل , و هو ما يكون فيه وجه الشبه صفة مفردة . و تشبيه تمثيل , و هو ما يكون فيه وجه الشبه صورة منتزعة من متعدّد . مثل :

- الصورة المفردة : قال رسول الله (صلّى الله عليه و سلّم) : « أصحابي كالنجوم بأيّهم اقتديتم اهتديتم »

- الصورة المنتزعة من متعدّد : قال المتنبّي : يهزّ الجيشُ حولك جانبيه

صورة

÷ كما هزّت جناحيها العقاب

صورة

* **بلاغة التشبيه** : تأتي بلاغة التشبيه و جماله من أنّه يزيد المعنى وضوحا و قوّة تأثير بالصورة التي يأتي بها , كolk : إنّ حصاني سريع , تعبیر لا يبلغ من وضوح المعنى و قوّة التأثير في النفس ما يبلغه قول امرئ القيس عن سرعة حصانه
مكرّ مفرّ مقبل مدبر معا ÷ كجلمود صخر حطّه السيل من عل

2 - **الاستعارة** : هي تشبيه بليغ حذف منه أحد طرفيه , و هي تأتي على نوعين

أ = **تصريحية** : و هي ما يصرّح فيها بلفظ المشبّه به و يراد منه المشبّه . مثل :

- قال حسّان : لساني صارمٌ لا عيب فيه ÷ و بحري لا تكدره الدّلاء

- قال جرير : أعددت للشعراء سمّا ناقعا ÷ فسقيت آخرهم بكأس الأول

ب = **مكنية** : و هي ما يحذف فيها المشبّه به و يرمز إليه بشيء من لوازمه يذكر مع المشبّه .
مثل :

- قال تعالى : { ربّنا أفرغ علينا صبرا , و توقنا مسلمين }

- و قال تعالى على لسان نبيّه زكرياء (عليه السلام) : { ربّ إنّني وهن العظم مئّي , و اشتعل الرأس شيبا } .

* تأتي بلاغة الاستعارة و جمالها من أنّها تتضمّن إحساسا و إثارة أقوى من التشبيه , يقوم على ادّعاء أنّ المشبّه و المشبّه به شيء واحد , و لذا يصلح أن يعبرّ بالمشبّه به مكان المشبّه أو أن تذكر صفة من صفاته مع النشبه , كما أنّ في الاستعارة تشخيصا للمعنى و رسم صورة محسوسة له تزيد قوّة و تأثيرا .

3 - **الكنائية** : هي لفظ أطلق و أريد به لازم معناه , مع جواز إرادة المعنى الحقيقي منه . :

مثال = قال تعالى : { فأصبح يقلّب كفيه على ما انفق فيها و هي خاوية على عروشها } يقلّب كفيه كناية عن صفة الندم .

- = قال المتنبّي في وصف أعداء سيف الدولة المهزومين :

و من في كفه منهم قنأة ÷ كمن في كفه منهم خضاب . ففي الشطر الأوّل كناية عن الرجال و في الشطر الثاني كناية عن النساء .

3 (البديع) : و يتمثل في المحسنات البديعية , و هي وسائل تعبيرية توضح المعنى و تثبته و تقويه و تزيّن الكلام و تجمل الأسلوب , و يعتمد إليها الأديب تلقائيا , و بدون تكلف أو اصطناع , تلبية لدعوة فطرية شعورية , و تنقسم المحسنات البديعية إلى قسمين هما :

1 - المحسنات اللفظية : و يندرج تحتها كل من السجع و الجناس , و يرجع التحسين فيها إلى اللفظ أصالة , و إن أدى ذلك إلى تحسين المعنى , و يظهر أثرها في ألفاظ الأسلوب الأدبي , و أكثر ما تعتمد على تنظيم النغم , و ترتيب الإيقاع المتولد عن تزيين اللفظ و تجميله .

* **السجع** : و هو توافق الكلمة الأخيرة من جملة , مع الكلمة الأخيرة من جملة أخرى في الحرف الأخير منهما , و هو لون من التوازن الصوتي الذي يكسب الكلام جرسا موسيقيا يلفت

النظر و يؤكد المعنى . و يكون السجع لونا أدبيا مقبولا إذا اتخذ وسيلة لتقوية المعنى , بعيدا عن التكلف و غير ملتزم في الأسلوب . و يشيع أسلوب السجع في البيئة الفطرية الطبيعية , و يقل كلما تقدّم فكر الإنسان و اتجه إلى السرعة في إنجاز الأعمال . مثل :

- من وصية ذي الأصبع لابنه : " ألنّ جانبك لقومك يحبوك , و تواضع لهم يرفعوك , و ابسط لهم وجهك يطيعوك , و لا تستأثر عليهم بشيء يسودوك " .

- و من وصية سيّدنا أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) لقائده : " و اسمر بالليل في أصحابك تأتلك الأخبار , و تتكشف عندك الأستار " .

* **الجناس** : و هو اتفاق كلمتين في الهيئة , و اختلافهما في المعنى , و يأتي على نوعين ؛ تام و ناقص .

- **الجناس التام** : و هو ما اتفق فيه اللفظان في نوع الحروف و عددها و شكلها و ترتيبها , و اختلفا في المعنى . مثل

قال أبو تمام : ما مات من كرم الزمان فإته ÷ يحيا لدى يحيى بن عبد الله
و مثل قولنا : " شهدت صلاة المغرب في بعض مساجد المغرب "

- **الجناس الناقص** : و هو ما اختلف فيه اللفظان في أحد الأمور الأربعة السابقة إلى جانب اختلافهما في المعنى . مثل

قال الحطيئة : و باتوا كراما قد قضوا حقّ ضيفهم ÷ و ما غرموا غرما و قد غنموا غنما
و مثل قول الحجاج : " من أعياه داؤه فعندي دواؤه , إنّ للشيطان طيفا و للسلطان سيفا , إني أنذر ثم لا أنظر , إنّ الحزم و العزم سلباني سوطي " .

* و يكون الجناس لونا أدبيا إذا بعد عن التكلف , و جاء عفوا تلبية لمتطلبات المعنى . و الجناس يكسو الكلام جمالا , و يكسبه جرسا موسيقيا و يحسنه , و يعبر عن إحساس الأديب , و يعين على نقل هذا الإحساس .

2 - **المحسّنات المعنويّة** : و يندرج تحتها كلّ من المقابلة و المطابقة و التورية , و يرجع التحسين فيها إلى المعنى أصالة و إن أدّى ذلك إلى تحسين اللفظ , و تجعل الأسلوب الأدبيّ أكثر جمالا و تأثيرا في النفس ممّا ترسمه من صور المقابلات و المطابقات .

* **المطابقة** : هي أن يؤتى في الكلام بمعنى و ما يقابله , و يسمّى " طباق الإيجاب " , أو يؤتى بالمعنى و ضده , و يسمّى " طباق السلب " . مثل :

- طباق الإيجاب : قال امرؤ القيس : مكرّم مفرّ مقبل مدبر معا ÷ كجلمود صخر حطّه السيل من عل

و جاء في الحكمة : " ربّ عجلة تهب ريثاً " . (التضادّ بين مثبتين)

- طباق السلب : قال تعالى : { يستخفون من الناس و لا يستخفون من الله و هو معهم } و قال تعالى : { و لا تخشوا الناس و اخشون } و قال الإمام عليّ (كرم الله وجهه) : " يغار عليكم و لا تغيرون , تغزون و لا تغزون ! " و هذا النوع من الطباق هو (التضاد بين مثبت و منفي) .
* **المقابلة** : هي أن يؤتى في الكلام بمعنيين غير متقابلين , أو أكثر من معنيين , ثمّ يذكر ما يقابل هذه المعاني . مثل :

- قال لقيط بن يعمر : ما ذا يردّ عليكم عزّ أولكم ÷ إن ضاع آخره أو ذلّ و أتّضعا ؟

- قال حسّان : قوم إذا حاربوا ضرّوا عدوّهم ÷ أو حاولوا النّفع في أشياعهم نفعوا

* و لكلّ من المطابقة و المقابلة أثر في المعنى و الأسلوب , فالمعنى يزداد وضوحا و بروزا و قوّة بوضع الشيء و ضده أو ما يقابله , و الكلام يكتسب جرسا موسيقيا و نغما جميلا يؤثّر في النفس , و ينقل الشعور , و بذلك يخاطب أسلوب المطابقة و المقابلة العقل و العاطفة في وقت واحد .

* و يكون هذا الأسلوب لونا أدبيا مقبولا إذا ابتعد عن التكلّف , و جاء عفوا بحسب متطلّبات الموقف .

مع تمنياتي بالنجاح